رسائل أعضاء الإرسالية التبشيرية الأمريكية في الخليج

التقرير الثاني: زيارة القطيف

ص. م. زويمر (S. M. Zwemer)(*)

ترجمة: تركي بن فهد بن عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود

مقدمة المترجم:

هذه سلسلة ترجمات لتقارير أعضاء الإرسالية الأمريكية التبشيرية في الخليج العربي، وقد نشرت في مجلة (الجزيرة العربية المُهمَلة - Neglected Arabia) التي صدر العدد الأول منها في يناير - أبريل ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، واستمرت إلى عددها الأخير في مارس ١٩٦٢م (١٣٨١هـ)، بعد أن تغير اسمها إلى (الجزيرة العربية تدعوكم(١) - Arabia Calling).

(*) S. M. Zwemer, "A Visit to Katif," Neglected Arabia, 79 (October-December, 1911), p. 10-13.

(١) الترجمة الحرفية هي (الجزيرة العربية تنادي) ولكنها لا تؤدي المعنى المطلوب.

وقد سبق لنا في العدد الثالث من هذه المجلة الصادر في رجب ١٤٢٨هـ (السنة الثالثة والثلاثون) كتابة مقدمة ضافية توضح منهجية البعثة وعنايتها بالتنصير، ونشر بعد ذلك التقرير الأول من تقارير الإرسالية بعنوان "استئناف العمل في الكويت".

وفيما يأتي ترجمة التقرير الثاني بعنوان "زيارة القطيف".

تمهيد:

نُشر هذا التقرير في العدد التاسع والسبعين (أكتوبر - ديسمبر ١٩١١م/ ١٣٢٩هـ) من مجلة الجزيرة العربية المُهملة. وكاتبه القس الأمريكي صموئيل م. زويمر، وكان زويمر قد قام بزيارة سابقة إلى القطيف عام ١٨٩٣م (١٣١٠هـ)، نُشر تقرير عنها في مجلة الإرسالية (The Arabian Mission)(٢). والتي كانت - كما وصفها - زيارة ناجحة. ثم قام بزيارة أخرى سنة ١٨٩٧م (١٣١٤هـ)(٣)، وهي التي تحدَّث عنها في هذا التقرير، وقال: إنه كان فيها هو وزوجته بحكم السجناء.

وكان قد زار القطيف من أعضاء الإرسالية قبل تاريخ هذا التقرير الدكتور: هـ. ر. ل. وورال (H. R. L. Worrall) عام ١٨٩٩م (١٣١٦هـ)(٤). وقد ذكره زويمر في هذا التقرير.

---

(2) "The Tour to Hassa and Kateef", The Arabian Mission, 8 (October - December, 1893), p. 6-7.

(3) Zwemer, "Bahrein," The Arabian Mission, 21 (January - March, 1897), p. 13-14.

(4) The Arabian Mission, 30 (April-June, 1899), p. 11-12.

نص التقرير:

تمتد أرض الجزيرة العربية غرباً، وراء مقر الإرسالية ومستشفاها ومدرستها في البحرين، لثمانمئة ميل (حوالي ١٣٠٠كلم) عبر إقليم الأحساء وعالية نجد والحجاز، وصولاً إلى البحر الأحمر. ولا يوجد شاهد للإنجيل في كل الطريق من البحرين إلى جدة.

البحرين هي بوابة الدخول إلى شرق الجزيرة العربية، كما أن جدة هي بوابة الدخول إلى غربها. وهناك طريقان للدخول من البحرين إلى الجزيرة العربية: الأول عبر العُقير؛ الموقع المتواضع لوصول القوافل إلى الهفوف. والثاني إلى الشَمَال من القطيف، ويقع على بعد خمسين ميلاً (٨٠كلم) عبر هذا الجزء من الخليج من ميناء المنامة.

في يوم الاثنين، الرابع والعشرين من شهر أبريل (٢٥ ربيع الآخر ١٣٢٩هـ)، أبحرت أنا والسيدة زويمر من البحرين على متن قارب شراعي، لزيارة القطيف مرة أخرى، وكان قبطاني المركب إبراهيم وصالح. كانت زيارتنا الأخيرة قبل أربعة عشر عاماً، عندما قُوبلنا بفظاظة، وأصبحنا كالسجناء عند الأتراك الذين كانت الشكوك تساورهم تجاهنا، ومنعوا أي شكل للعمل التبشيري. وبالرغم من أننا ذهبنا هذه المرة ونحن نخشى أن نُصدّ عنها مُجدداً، إلا أننا تفاجأنا عندما وجدنا الأبواب مُشْرَعَةً لنا على مصراعيها؛ ولعل ذلك يعود جزئياً إلى تغيّر الحكومة التركية، ولكننا نعتقد أن السبب الفعلي هو زيارة الدكتور وورال (Worrall) منذ سنتين لهذه

المنطقة(٥). حتى إننا ونحن ما نزال على ظهر المركب، كان البحارة يتحدثون عن "الدكتور إرسالية"(٦)، الراكب المرح الذي أوصلوه إلى هنا، والذي أثبت اسمه واسم الإرسالية في هذا الجزء من الخليج.

وصلنا إلى القطيف بعد ظهر يوم ثلاثاء، بعد اثنتي عشرة ساعة إبحار في رياح سيئة، واثنتي عشرة ساعة كنا نرسو بها أثناء الليل.

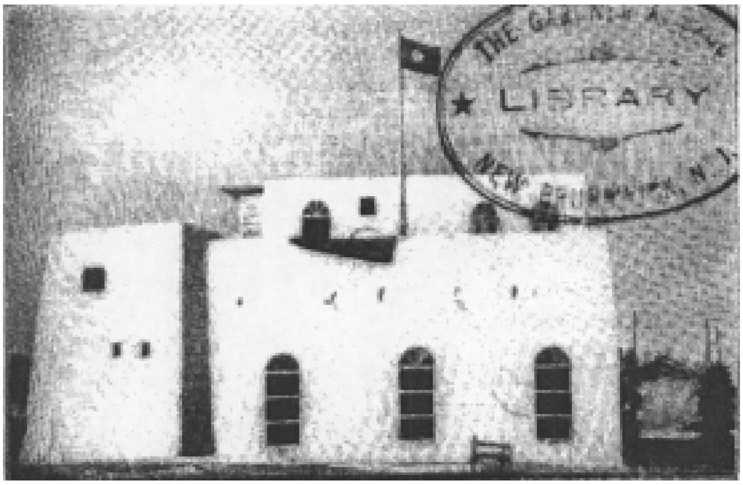

المبنى الحكومي في القطيف الذي أقام به الدكتور زويمر وزوجته

---

(٥) الدكتور: هـ. ر. ل. وورال (H. R. L. Worrall): انضم إلى الإرسالية من عام ١٨٩٤ إلى ١٩١٧م. ومات في فيلاديلفيا بولاية بنسلفينيا عام ١٩٣٠م. كان قد زار القطيف في ١٨٩٩/٥/٣١م الموافق ١٣١٧/١/٢١هـ انظر:

The Arabian Mission, 30 (Apr.-Jun. 1899), p. 11-2; James Cantine, "A Tribute to Dr. Worrall," Neglected Arabia, 153 (Apr. May. Jun. 1930), p. 15.

(6) Dr. Mission .

لا تتمتع القطيف بصيت حسن بين العرب في الأحساء، فموقعها منخفض وتملأه المستنقعات، ومعظم سكانها ضعيفو البُنية، شاحبو البشرة، ويُعانون من الملاريا دائماً. والبلد نفسه مبني بناء سيئاً، ويفتقر إلى النظافة بشكل يرثى له، وطقسه رطب وبغيض. ومع ذلك فعدد السكان لا بأس به، والتجارة فيه نشطة. غالب سكانه شيعة من أصول إيرانية... وموقع القطيف الحالي هو موقع المستوطنة القديمة للجرهيين (Gerrhs) الذين ذكرهم جغرافيو الإغريق، ولكن لم تجر فيه حفريات أثرية من قبل.

اكتسبت القطيف قديماً أهميتها كعاصمة للكاثمونيين (Catmathians) في ٢٨٧ ق. م. ولأنها أصبحت فيما بعد مُنطلق الحملات الحربية التخريبية لأبي طاهر القرمطي، والتي غطّت ثلثي الجزيرة العربية، بل وحاصرت الخليفة في بغداد، وهدّدت حلب، وملأت ساحة الكعبة وبئر زمزم بجثث المسلمين. كانت هذه هي الفرقة التي نجحت في نقل الحجر الأسود عبر الجزيرة العربية إلى القطيف، وحاولت أن تُقيم مبنى مقدساً مضاهياً [للكعبة] هناك. ولكنه فيما بعد حُمِلَ [إلى مكة] وغُسِلَ بماء الورد ووُضِعَ في مكانه السابق. وبعد سقوط القرامطة، ظلّت المناطق حول القطيف والأحساء لوقت طويل مُنسلخة عن الإسلام؛ قال بلجريف: "مجرد كومة من الحطام الديني والأخلاقي"(٧). ولم يُعِدّ غزو

---

(٧) وليم جيفور بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ترجمة: صبري محمد حسن، مصر: المجلس الأعلى للثقافة (٢٠٠١م)، ج ٢، ص١٦٩.

الوهابيين...(*)، ولا محاولاتهم - في بدايات القرن الماضي - ... مجد القطيف السابق. فانحدر الإقليم كله من سيئ إلى أسوأ.

المياه كثيرة، تنبع من عيون حارة والناس يُعانون باستمرار من أمراض مزمنة بسببها

وعندما سقطت الدولة السعودية، استولى الأتراك على القطيف سنة ١٨٧١م (١٢٨٧هـ)، ولا يزالون يعملون على إخضاع قبائل البدو. وقبل ثلاث سنوات ونصف فقط، حاصر العرب المدينة، وكاد الترك أن يخسروها. ويبدو كل شيء - حالياً - مختلفاً عن قُرى البحرين التي هيأها الأمن والإدارة الجيدة للتطور التجاري. كل شيء في البلد يبدو بمنظر سيئ. مصادر المياه كثيرة، فهي تنبع من عيون حارة، وتسقي المزارع بامتداد ثلاثين ميلاً تقريباً على امتداد الساحل. ولكن تلك المياه مملوءة بالجراثيم والديدان، والناس يُعانون باستمرار من أمراض مزمنة بسببها. والسُنَّة هنا هم فقط الطبقة الحاكمة وبعض التجار.

نزلنا من مركبنا، ووصلنا إلى الشط ممتطين حميراً، وكنا نحمل خطابات توصية إلى شاكر أفندي، الذي يحمل اللقب الرفيع "أمير البحر". ولم تواجهنا مشاكل من جهة جوازاتنا ولا من جهة طبيعة زيارتنا. واستقرينا في غرفة صغيرة مستقلة، ليست بالكبيرة جداً، ولكنها نظيفة ويدخلها الهواء. تناولنا ثلاث مرات يومياً الوجبة المتواضعة من الأرز واليخنة، من صندوق غذائنا الخاص.

(*) الوهابية ليست عقيدة أو مذهب كما قد يظن بعض الكُتَّاب، وإنما هي دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي تدعو إلى العودة إلى الدين الصحيح كما ورد في الكتاب والسنة. (المحرر).

كانت الأيام الأربعة لزيارتنا مشغولة بالعلاج إلى درجة الإزعاج للسيدة زويمر. بعض المراجعين كانوا من المرضى القديمين في المستشفى [في البحرين]، والذين عادوا إلى ديارهم، وآخرين سمعوا عنا عن طريقهم، فأتوا إلى مقرنا أو طلبوا منا زيارة منازلهم. بعت أنا وأحمد (بائع الكتب المُتجوّل) الكتاب المقدس في السوق، وتحدثنا مع الجنود، وأجبنا عن أسئلة تخص الواقع السياسي، وتبادلنا الآراء مع موظفين أتراك حول الثورة اليمنية. كنت متفاجئاً من كثرة الطلب على الكتاب المقدس، فقد بعنا مخزوننا في فترة قصيرة. وقد ساعد تأثير عمل الإرسالية في مستشفى [البحرين]، وخاصة زيارة الدكتور وورال [إلى القطيف]، في التخفيف الشديد من الأذى الذي كنا نلقاه في السابق، وكان الناس لطفاء تقريباً وغير مُرتابين بنا.

حتى في القطيف ترى أثر غزو الغرب للشرق، ففي كل ليلة، بل وحتى في الصباح الباكر، يُحاول مضيفنا الترفيه عنا بفيكتور فونوغراف(٨)، يُدير عجلته لتشغيل الأغاني التي تسمعها في مقاهي القاهرة، بينما استُبدلت طاولة الآلة بحقيبة عادية لشركة الزيت.

---

(8) Victor phonograph:

أحد أنواع آلة الفونوغراف، من إنتاج:

(Victor Talking Machine Company).

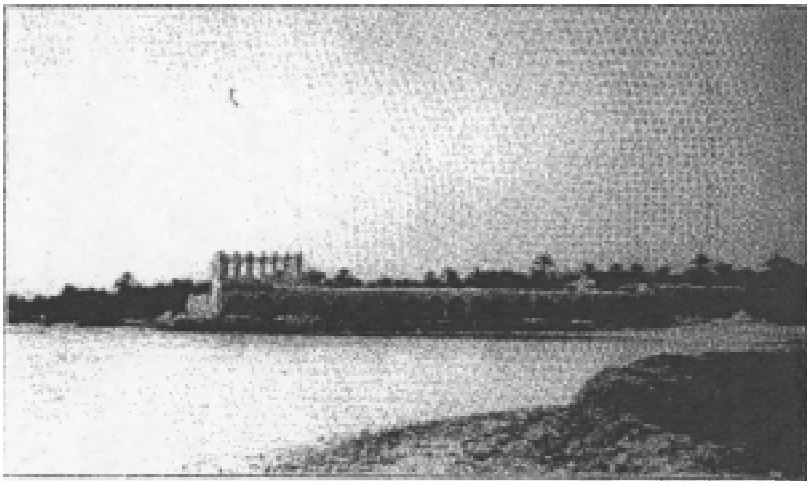

منزل الحاج منصور باشا في القطيف

كانت البنادق التي يحملها الجنود مُصنَّعة في سبرينج فيلد في ولاية ماساتشوستس (Springfield, Mass)، وكان المدفع القديم، الذي يحمي مدخل القلعة القديمة، مصنوعاً في ألمانيا، بدون شك.

كان هناك احتفال في البلدة في السابع والعشرين من أبريل (٢٨ ربيع الآخر ١٣٢٩هـ). وكان مبنى الجمرك والسراي مزينين بسَعَف النخيل والأنوار في المساء. فقد كان احتفالاً بيوم اعتلاء السلطان [العثماني] العرش. وبما أنني كنت ممثلاً لكل حكومات العالم الأجنبية، فقد شاركت في الاحتفال، وسمعت الكلمة التي ألقاها القاضي القادم من إسطنبول، التي أكد فيها مراراً - وكأنه أمر مشكوك فيه - أن السلطان الحالي هو خليفة المسلمين جميعاً، وأن دولته قائمة إلى قيام الساعة. ووزِّعت سيجارة واحدة على كل جندي، كما وُزِّعَ شراب الليمون بهذه المناسبة.

وقد ذكّرني هذا الاحتفال بمحاولة الأمريكيين إقامة حفل الكريسمس في جزيرة نائية، فقد كان فعلاً، بالنسبة للحكومة الجديدة، بديلاً مُثيراً للشفقة في أطراف الإمبراطورية العثمانية. سيمضي وقت طويل قبل أن تجتذب القطيف أموالاً لتحسين مينائها أو التعليم فيها.

قمنا في اليوم التالي بزيارة قرية عَنَك (Anaj) وقلعتها(٩)، وقد استضافنا فيها العقيد (Colonel) وعائلته أفضل ضيافة.

ربما بلغ عدد سكان القطيف مع القُرى المحيطة بها عشرين ألفاً. وفيما يلي أسماء أهم الأماكن بها: دارين (Darain)(١٠)، تاروت (Tarut)(١١)، سنابس (Senabis)(١٢)،

---

(٩) عُنَك: بضمّ العين، والمشهور بين العامَّة فتحها، وفتح النون بعدها كاف. من قُرى القطيف، وتقع على الشاطئ جنوب القطيف بنحو خمسة عشر كيلاً، وشرق سيهات بنحو خمسة أكيال. انظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: المنطقة الشرقية (البحرين قديماً)، الرياض: دار اليمامة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج ٣، ص ١١٩٥-١١٩٧؛ ج. ج. لويمر، دليل الخليج: القسم الجغرافي، الدوحة: د. ن (د. ت)، ج ٥، ص ١٨٨٠.

(١٠) دَارين: بكسر الراء بعدها مثناة تحتية ساكنة فنون. جزيرة تقع في مدخَل خليج القطيف. انظر: الجاسر، السابق، ج ٢، ص ٦٥١-٦٥٩؛ لويمر، السابق، ج ٧، ص ٢٤٤٦.

(١١) تَارُوت: بالفتح وبعد التاء ألف فراء مضمومة فواو ساكنة فتاء. جزيرة تُعتبر من أهم الثغور البحرية للقطيف، وهي معروفة باسمها هذا منذ القدم. انظر: الجاسر، السابق، ج ١، ص ٢٨٥؛ لويمر، السابق، ص ٢٤٤٧.

(١٢) سَنَابس: سين مفتوحة فنون مفتوحة فألف فموحدة مكسورة فسين مهملة. من قُرى جزيرة تاروت، على ساحلها الشرقي. انظر: الجاسر، السابق، ج ٢، ص ٨٧٢؛ لويمر، السابق، ص ٢٤٤٦.

الثانية (Eth Thania)، عنك (Anaj)، سيهات (Shehad)(١٣)، صفوى (Safwa)(١٤)، كروديجة؟ (Karoodija)(١٥)، والعماير؟ (El Amair).

طريق القوافل من القطيف إلى الأحساء ليس آمناً، وليس هناك اتصال مع داخل الجزيرة جهة الغرب أو الشَمال، ولكن عدد السكان أكبر من أن يُتجاهل كلُّه تماماً، وهي تفتح الباب لجميع قُرى الساحل. بدأت السفن البخارية في السنوات الأخيرة تحمل البضائع من البصرة والبحرين إلى القطيف في مدة لا تُذكر، والتجارة هنا تبدو في انتعاش...

---

(١٣) سَيْهَات: بفتح السين بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فهاء مفتوحة فألف فتاء. قرية جنوبية عن القطيف، وهي من توابعها. انظر: الجاسر، السابق، ج ٢، ص ٨٩٣؛ لويمر، السابق، ج ٥، ص ١٨٨٥.

(١٤) صَفْوَى: بفتح الصاد المهملة وإسكان الفاء بعدها واو فألف مقصورة. بلدة تقع شمال القطيف، تبعد عنها بنحو خمسة عشر كيلاً، وهي آخر قرية شمال الواحة. انظر: الجاسر: السابق، ج ٣، ص ٩٧٤؛ لويمر، السابق، ص ١٨٨٥.

(١٥) لعلها الجارودية؟ انظر عنها: لوريمر، السابق، ص١٨٨٢.